ابن الجوزي

أعلام المؤرخين

الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ

حظي " ابن الجوزي " بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون، وبلغت مؤلفاته أوج الشهرة والذيوع في عصره، وفي العصور التالية له، ونسج على منوالها العديد من المصنفين على مر العصور.

فهو: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد بن عليّ ابن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمّد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمّد بن عبد الله بن القاسم ابن محمّد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه القرشي التميمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الحافظ المفسر الواعظ المؤرخ الأديب المعروف بابن الجوزي رحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته. وقد عرف بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره بواسط، ولم تكن بالبلدة شجرة جوز سواها، وقيل: نسبة إلى " فرضة الجوز " وهي مرفأ نهر البصرة.

مولده:

ولد العلامة ابن الجوزي " بدرب حبيب " الواقعة في بغداد، واختلف في تأريخ ولادته:

قيل: سنة ٥٠٨، وقيل: سنة ٥٠٩، وقيل: سنة ٥١٠ هجرية. والأرجح أنه ولد بعد العشرة كما يظهر ذلك في بعض مؤلّفاته في الوعظ، حيث يقول: إنه بدأ التصنيف سنة: ٥٢٨هـ، وله من العمر ١٧ سنة. ولما قيل عنه أيضًا في ذيل تاريخ بغداد لابن النجار " أنه كان يقول: " لا أتحقق مولدي غير أنه مات والدي في سنة: ٥١٤هـ، وقالت الوالدة: كان لك من العمر ثلاث سنين ". وعلى هذا تكون

ولادته سنة: ٥١١هـ، ١١١٧م. وكان أهله تجارًا في النحاس، ولهذا يوجد في بعض سماعاته القديمة: عبد الرحمن بن عليّ الجوزي الصفار.

نشأته:

توفي والده عليّ بن محمّد وله من العمر ثلاث سنين، ولكن ذلك لم يؤثّر في نشأته نشأة صالحة، حيث أبدله الله عمته مربية مخلصة تعطيه كلّ عطفها وعنايتها وتسهر على خدمته وتعليمه، فهي حملته إلى مسجد أبي الفضل بن ناصر، فتلقى منه الرعاية التامة والتربية الحسنة حتى أسمعه الحديث.

وعلى الرغم من فراق والده في طفولته فقد ساعده في توجهه إلى طلب العلم وتفرغه لذلك ثروة أبيه الموسر، فقد ترك من الأموال الشيء الكثير، ولهذا نراه - رحمه الله - يكثر الكلام عن نفسه في أكثر من كتاب، فيبين أنه نشأ في النعيم، ويقول في صيد الخاطر:

" فمن ألف الترف فينبغي أن يتلطف بنفسه إذا أمكنه، وقد عرفت هذا من نفسي، فإني ربيت في ترف، فلما ابتدأت في التقلل وهجر المشتهى أثر معي مرضًا قطعني عن كثير من التعبد، حتى إني قرأت في أيام كل يوم خمسة أجزاء من القرآن، فتناولت يومًا ما لا يصلح قلم أقدر في ذلك اليوم على قراءتها، فقلت: إن لقمة تؤثر قراءة خمسة أجزاء بكل حرف عشر حسنات، إن تناوله لطاعة عظيمة، وإن مطعمًا يؤذي البدن فيفوّته فعل خير ينبغي أن يهجر، فالعاقل يعطي بدنه من الغذاء ما يوافقه " (١).

فلما بلغ ابن الجوزي رشده شعر بنفسه وبال الترف في طلب

(١) انظر: صيد الخاطر في فصل الرفق بالبدن ص: ٤٤٦.

العلم، فقنع باليسير واستسهل الصعاب متحملاً كلّ الشدائد والمحن فهمته في طلب العلم أنسته كل الترف فانكب على طلب العلم - وهو ألذ من كلّ لذيذ - فيقول عن نفسه: " ولقد كنت في مرحلة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو.

كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها شربة، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم " [1].

قد عاش ابن الجوزي منذ طفولته ورعًا تقيًّا زاهدًا، لا يحب مخالطة الناس خوفًا من ضياع الوقت، ووقوع الهفوات، فصان بذلك نفسه وروحه ووقته: يقول الإمام ابن كثير عند ترجمته له: " وكان - وهو صبي - ديّنًا منجمعاً على نفسه لا يخالط أحدًا ولا يأكل ما فيه شبهة، ولا يخرج من بيته إلاّ للجمعة، وكان لا يلعب مع الصبيان " [2].

حبه للعزلة:

وكان يحب العزلة تقديرًا لقيمة الوقت وابتعادًا عن الوقوع في اللهو. يقول في صيد الخاطر: " فليس في الدنيا أطيب عيشًا من منفرد عن العالم بالعلم، فهو أنيسه وجليسه، قد قنع بما سلم به دينه من المباحات الحاصلة، لا عن تكلف ولا تضييع دين، وارتدى بالعز عن الذل للدنيا وأهلها، والتحف القناعة باليسير، إذا لم يقدر على

(١) انظر: صيد الخاطر (١٥٣).
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣ /٥٩٧.

الكثير بهذا الاستعفاف يسلم دينه ودنياه، واشتغاله بالعلم يدلّه على الفضائل ويفرجه عن البساتين، فهو يسلم من الشيطان والسلطان والعوام بالعزلة، ولكن لا يصلح هذا إلا للعالم، فإنه إذا اعتزل الجاهل فاته العلم فتحبط " (١).

ردّه على المتزهدين والمتصوفين:

في موضع آخر من صيد الخاطر عين فصولاً للرد على العزلة العمياء والمتزهدين فيقول: " فكم فوتت العزلة علمًا يصلح به أصل الدين، وكم أوقعت في بلية هلك بها الدين، وإنما عزلة العالم عن الشر فحسب " (٢).

ويقول في ذم المتزهدين والصوفية العمياء: " وإني أرى أكثر الناس قد حادوا عن الشريعة، وصار كلام المتزهدين كأنه شريعة لهم، فيقال: قال أبو طالب المكي: كان من السلف من يزن قوته بكربة فينقص كل يوم. وهذا شيء ما عرفه رسول الله ﷺ، ولا أصحابه وإنما كانوا يأكلون دون الشبع. وما كانت سيرة رسول الله ﷺ وأصحابه على ما المتزهدون عليه اليوم.

فقد كان ﷺ يضحك ويمزح ويختار المستحسنات ويسابق عائشة رضي الله عنها، وكان يأكل اللحم ويحب الحلوى ويستعذب الماء وعلى هذا كانت طريقة أصحابه، فأظهر المتزهدون طرائق كأنها ابتداء شريعة، وكلها على غير الجادة " (٣).

(١) صيد الخاطر، ص ٣٧٣).
(٢) صيد الخاطر، ص١٣٢.
(٣) صيد الخاطر، ص٤٧١، ٤٧٢. انظر أيضاً في فصل حماقة الصوفية في كراهية الدنيا، ص ٢٥ ـ ٣٥، في صيد الخاطر.

مكانته وثناء العلماء عليه:

لقد أعجب بشخصيته وجهده الجبار علماء أجلاء من بعده فمدحوه وأثنوا عليه. يقول ابن خلكان: " إنه كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وفي صناعة الوعظ صنف في فنون كثيرة " فعد بعض مؤلّفاته، ثم قال: " وبالجملة فكتبه تكاد لا تعد، وكتب بخطه شيئًا كثيرًا، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا: إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خصّ كل يوم تسع كراريس " [1].

وكان ابن الجوزي كثير الاطلاع ومشغوفًا بالقراءة فقد حكى عن نفسه أنه طالع عشرين ألف مجلد أو أكثر، وهو ما يزال طالبًا [2].

يقول في صيد الخاطر: " سبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب التي تخلفت من المصنفات فليكثر من المطالعة فإنه يرى من علوم القوم وعلوّ هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة، وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم، لا ترى فيهم ذا همة عالية فيقتدي به المقتدي ولا صاحب ورع فيستفيد منه الزاهد، فالله الله، وعليكم بملاحظة سير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، والاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم " [3].

فقد استطاع بهذا الاطلاع الواسع أن يتفوق على كثير من معاصريه في المشاركة في عديد من العلوم والفنون، فألف في التفسير والحديث والطب والوعظ وغيرها الشيء الكثير ويبدو أن

(١) انظر وفيات الأعيان ٣٢١/٢ رقم: ٣٤٣.
(٢) صيد الخاطر، ص٤٤١.
(٣) صيد الخاطر، ص٤٤١.

ابن الجوزي كان ماهرًا في التفسير وفي التأريخ والوعظ ومتوسطًا في الفقه، وأما بالنسبة إلى متون الحديث فهو واسع الاطلاع فيها لكنه غير مصيب في الحكم على الصحيح والسقيم.

يقول الذهبي عند ترجمة ابن الجوزي: " كان مبرزًا في التفسير والوعظ والتأريخ ومتوسطًا في المذهب وله في الحديث اطلاع تام على متونه، وأما الكلام على صحيحه وسقيمه فما له ذوق المحدثين ولا نقد الحفاظ المبرزين " (١). وقال الذهبي في التأريخ الكبير: " لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه " (٢).

مدرسة ابن الجوزي:

كان له دور كبير ومشاركة فعالة في الخدمات الاجتماعية، وقد بنى مدرسة بدرب دينار وأسس فيها مكتبة كبيرة ووقف عليها كتبه وكان يدرس أيضًا بعدة مدارس ببغداد.

قال الحافظ ابن الدبيثي عن ابن الجوزي: " كان من أحسن الناس كلامًا وأتمهم نظامًا وأعذبهم لسانًا، وأجودهم دينًا، وبورك في عمره وعمله، فروى الكثير، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة وحدث بمصنفاته مرارًا ".

منزلته في الوعظ:

لم يكن جهاده محصورًا في القلم والتأليف إنما كان له شأن عظيم وشهرة كبيرة في الوعظ والخطب والدعوة والإرشاد بين الخواص والعوام.

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ رقم الترجمة: (١٠٦٧).
(٢) السيوطي، طبقات الحفاظ، ص ٤٧٨.

يقول ابن كثير رحمه الله: " تفرد ابن الجوزي بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه، وفي طريقته وشكله وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه، ونفوذ وعظه، وغوصه في المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة بما يشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة " (١).

شجاعته في إظهار الحقّ:

كان لا يخاف في الله لومة لائم، وكان يحضر في وعظه الرؤساء والخلفاء، وقد التفت مرة إلى ناحية الخليفة المستضيء العبّاسي، وهو يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين إن تكلمت، خفت منك وإن سكتّ خفت عليك، وإن قول القائل لك: اتق الله، خير لك من قوله: لكم أنتم أهل البيت مغفور لكم.. وأضاف قائلاً: لقد كان عمر بن الخطاب يقول: إذا بلغني من عامل ظلم قلم أغيره فأنا الظالم(٢).

وهكذا دافع ابن الجوزي عن الحقّ بدون خوف لومة لائم وحارب البدع والمنكرات والتعصب في المذاهب والتقليد الأعمى، وقد كان يعترف بنجاحه في هذا المجال فيقول: " وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب، فأعانني الله عزوجل عليهم وكانت كلمتنا هي العليا " (٣).

محنته في سبيل الحقّ:

وقد امتحن ابن الجوزي رحمه الله، في آخر عمره، وذلك أن

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ١٣، / ٥٩٧.
(٢) الذيل لابن رجب ٤٠٩/١، وتذكرة الحفاظ للذهبي، رقم الترجمة: (١٠٩٧).
(٣) الذيل لابن رجب ٤٠٣/١.

الوزير ابن يونس الحنبلي كان في ولايته قد عقد مجلسًا للركن عبد السلام ابن عبد الوهّاب بن عبد القادر الجيلي، وأحرقت كتبه. وكان فيها من الزندقة وعبادة النجوم ورأي الأوائل شيء كثير، وذلك بمحضر ابن الجوزي وغيره من العلماء، وانتزع الوزير منه مدرسة جدّه وسلمها إلى ابن الجوزي.

فلما ولي الوزارة ابن القصاب - وكان رافضيًّا خبيثًا - سعى في القبض على ابن يونس وتتبع أصحابه، فقال الركن: أين أنت من ابن الجوزي، فإنه ناصبي، ومن أولاد أبي بكر، فهو أكبر أصحاب ابن يونس، وأعطاه مدرسة جدي، وأحرقت كتبه في مشورته؟ فكتب ابن القصاب إلى الخليفة الناصر - وكان الناصر له ميل إلى الشيعة - وكان يقصد إيذاء ابن الجوزي فأمر بتسليمه إلى الركن عبد السلام، فجاء إلى دار الشيخ وشتمه وأهانه وختم على داره وشتت عياله، ثم أخذه في سفينة إلى واسط فحبس بها في بيت وبقي يغسل ثوبه ويطبخ، ودام على ذلك خمس سنين وما دخل فيها حمامًا[1].

فالمحنة بشتى أنواعها والصبر عليها والاستمرار على الوقوف في وجه الباطل والظلم والطاغوت من دأب العلماء العاملين والمجاهدين المخلصين. وقد رسم لنا العلامة ابن الجوزي من خلال حياته سلسلة متصلة من الكفاح والجهل الطويل والربط بين العلم والعمل ربطًا وثيقًا.

وقد عقد فصلاً مستقلاً في كتابه صيد الخاطر تحت عنوان: (العلماء العاملون) فمدح فيه من يستحق المدح من أقرانه، وذمّ من يستحق ذلك ثم قال: " فالله الله في العلم بالعمل فإنه الأصل الأكبر.

(١) الذيل لابن رجب ١/٤٢٥ - ٤٢٦، وتذكرة الحفاظ، رقم الترجمة: (١٠٩٨).

والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة فقدم مفلسًا مع قوّة الحجة عليه " (١).

شعره:

كان " ابن الجوزي " شاعرًا مجيدًا إلى جانب كونه أديبًا بارعًا وخطيبًا مفوهًا، وله أشعار حسنة كثيرة، منها قوله في الفخر:

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا ::: وأكابد النهج العسير الأطولا
تجري بي الآمال في حلباته ::: جري السعيد إلى مدى ما أمّلا
لو كان هذا العلم شخصًا ناطقًا ::: وسألته: هل زار مثلي؟ قال: لا

ومنها قوله في الزهد والقناعة:

إذا قنعت بميسور من القوت ::: بقيت في الناس حرًّا غير ممقوت
يا قوت يومي إذا ما در خلفك لي ::: فلست آسى على درٍّ ويا قوت

وأوصى أن يُكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن ::: كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو ::: الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء ::: الضيف إحسان لديه

ما أخذ عليه: رغم وصوله إلى قمة العلم والمعرفة فقد أخذ العلماء عليه مآخذ هامة:

أوّلاً: كان يميل إلى التأويل في بعض كلامه. يقول ابن رجب في الذيل: " اشتد إنكار العلماء عليه في ذلك، وكان مضطربًا في قضية التأويل رغم سعة اطلاعه على الأحاديث في هذا الباب فلم يكن خبيرًا بحل شبه المتكلمين، ويقول: كان أبو الفرج تابعًا لشيخه أبي الوفاء ابن عقيل في ذلك، وكان ابن عقيل بارعًا في علم الكلام ولكنه

(١) صيد الخاطر ص: ١٤٣ - ١٤٤.

قليل الخبرة في الأحاديث والآثار لذا نراه مضطربًا في هذا الباب "[1].

نعم، قد نجد ما يثبت ميله إلى التأويل من ثنايا كتبه حيث ألّف كتابًا مستقلاً يناقش هذا الموضوع باسم (دفع شبه التشبيه) وهو مطبوع أورد فيه بعض آيات قرآنية، وستين حديثًا ورد فيها الكلام عن ذات الله وصفاته ﷻ، كالوجه، واليد، والنفس، والساق، والاستواء، فيؤوّلها بما يحتمل التأويل بخلاف ما ذهب إليه السلف من إمرارها كما وردت بدون تأويل ولا تشبيه، ولا تعطيل[2].

ونجده أيضًا في صيد الخاطر، ينقد نهج السلف فيقول: ".. ولا أقوامًا قصرت علومهم فرأت أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعليل، ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا "[3].

وقد قام بالردّ على ما كتبه ابن الجوزي مائلاً إلى التأويل عالم معاصر له، وهو الشيخ إسحاق بن أحمد بن غانم العلثي[4] حيث كتب رسالة يردّ فيها على ابن الجوزي ردًّا عنيفًا طالبًا فيها العودة إلى الحقّ وإلى العقيدة السلفية وعلى ما كان عليه إمامه أحمد بن حنبل رحمه الله، حيث يقول فيها: " وإذا تأولت الصفات على اللغة وسوغته لنفسك وأبيت النصيحة، فليس هو مذهب الإمام الكبير أحمد

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٤/١، أما ابن عقيل فليس هو شيخه المباشر إنما كان يتبعه بوساطة مؤلفاته، وكانت ولادة ابن الجوزي قبل وفاة ابن عقيل بسنة، وسوف تأتي ترجمته عند أول ذكر له في الكتاب إن شاء الله.

(٢) طبع هذا الكتاب بمصر، ولم يؤرخ، بتحقيق محمد زاهد الكوثري وهو في (٩٦) صفحة.

(٣) انظر: كتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة ص: ١٤، للشيخ عدي بن مسافر الأموي الشامي المتوفى سنة: ٥٥٧هـ.

(٤) صيد الخاطر، ص ٨٣، ٨٤.

بن حنبل قدس الله روحه، فلا يمكنك الانتساب بهذا، فاختر لنفسك مذهبًا حتى قال: فلقد استراح من خاف مقام ربّه وأحجم عن الخوض فيما لا يعلم، لئلا يندم. فانتبه قبل الممات، وحسن القول العمل، فقد قرب الأجل لله الأمر من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ".

ثانيًا: كثرة أغلاطه في تصانيفه، وعذره في هذا واضح وهو أنه كان مكثرًا من التصانيف، فيصنف الكتاب ولا يعتبره، بل يشتغل بغيره وربما كتب في الوقت الواحد تصانيف عديدة ولولا ذلك لم تجتمع له هذه المصنفات الكثيرة.

ثالثًا: ما يوجد في كلامه من الثناء على نفسه والترفع والتعاظم، وكثرة الدعاوى، ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف، والله يسامحه، كقوله في صيد الخاطر: ".. ونظرت إلى علوّ همتي فرأيتها عجبًا " ويقول في موضع آخر: " خلقت لي همة عالية تطلب الغايات " وأمثال ذلك كثير.

والحقيقة في علم ابن الجوزي، فلا يخفى كثرة مآثره ومؤلفاته. ولكن من كان لديه بالعلم والتحقيق العلمي دراية، يعلم أن ابن الجوزي لم يكن من أئمة الفقه ولا الحديث، وإن ألف فيهما ما ألّف. وإنما حصل له ذلك بكثرة اطلاعه وبحثه. قال السيوطي في طبقات الحفاظ (٤٨٠/١): قال الذهبي في التاريخ الكبير: «لا يُوصَفُ ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة، بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه». ورغم كثرة تآليفه في شتى العلوم، فقد ضَعُفَ من ناحية التحقيق في أكثر العلوم التي ألّف فيها، ولا سيما في الحديث. فتجد كلامه مخالفاً كثيراً لكلام حُفّاظِ الحديث. فالمفترض أن تكون كتبه مراجع يستعملها طالب العلم المتمكن الذي يستطيع التمييز بين

الصواب والخطأ، فلا تُنشر على العامة وصغار المتفقّهة.

قال الإمام موفق الدين عن ابن الجوزي: «كان حافظاً للحديث، إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها». وقال عنه الموفق عبد اللطيف: «وكان كثير الغلط فيما يصنفه. فإنه كان يخلو من الكتاب ولا يعتبره». ذكر ذلك الحافظ ابن عبد الهادي في طبقات علماء الحديث (١٢٢/٤). فقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٧٨/٢١): «هكذا هو: له أوهامٌ وألوانٌ من تَرْك المراجعة، وأخذ العِلم من صُحُف». قال الحافظ سيف الدين بن المجد: «هو كثير الوهم جدًّا، فإن في مشيخته - مع صِغرها - أوهاماً». وقيل لابن الأخضر: ألا تجيب عن بعض أوهام ابن الجوزي؟ قال: «إنما يُتتبع على من قل غلطه، فأما هذا فأوهامه كثيرة». قال السيف: «ما رأيت أحداً يُعتمد عليه في دينه وعلمه وعقله، راضياً عنه». وقد عابه الكثير من أهل السنة فأصر على بدعته. وعاتبه أبو الفتح بن المني في أشياء. وقال ابن حجر لسان الميزان (٨٣/٢) بترجمة ثمامة بن الأشرس البصري بعد قصة: «دلّت هذه القصة على أن ابن الجوزي حاطب ليلٍ لا ينتقد ما يحدّث به». قلت: فمثل هذا الرجل لا يوثق بنقله ولا بكلامه.

ولعل ما قدم للأمة من القدوة الصالحة والخدمة الخالصة التي لا مثيل لها، تغطي مساوئه، وترفع درجاته. لأن الحسنات يذهبن السيئات. والله واسع المغفرة والكرم وهو عليم بذات الصدور.

وفاته:

بعد أن عاش رحمه الله داعيًا مرشدًا كاتبًا بارعًا زاهدًا مخلصًا، قرابة تسعين عامًا، انتقل إلى جوار ربّه ببغداد. وكانت وفاته ليلة

الجمعة (١٢ رمضان ٥٩٧هـ) بين العشاءين، فغسل وقت السحر، واجتمع أهل بغداد وحملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثيرًا جدًّا، وما وصل إلى حفرته إلا وقت صلاة الجمعة، والمؤذن يقول: " الله أكبر"، ودفن بباب حرب، بالقرب من مدفن الإمام أحمد بن حنبل وكان ينشد حال احتضاره يخاطب ربّه:

يـــا كـــثير العفـــو عمـــن ::: كثـــر الـــذنب لديـــه
جـــاءك المـــذنب يرجـــو ::: الصـــفح عـــن جـــرم يديـــه
أنـــا ضـــيف وجـــزاء ::: الضـــيف إحســـان إليـــه

فرحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته ونفعنا بعلومه آمين.

شيوخه:

وقد ألّف في مشيخته كتابًا خاصًّا، ذكر فيه حوالي تسعة وثمانين شيخًا ونرى فيه حسن اختياره للمشايخ حيث تتلمذ على طائفة من خيرة أعلام عصره، ويذكر اهتمامه في اختيار أبرع وأفهم المشايخ في بداية كتابه المذكور، حيث قال: " حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلّها بخطّه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد المدد لا تكثير العدد ". فمن مشايخه:

١ - أبو بكر محمّد بن عبد الباقي بن محمّد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت، وتنتهي نسبته إلى كعب بن مالك الأنصاري أحد الثلاثة الذين خلفوا. يقول المؤلّف: قرأ عليه، وكان ثقة فهمًا حجّة متفننًا في علوم كثيرة، منفردًا في علم الفرائض، وقع في أيدي الروم أسيرًا فأجبروه على أن ينطق كلمة الكفر فلم يفعل.

توفي رحمه الله سنة: (٥٣٥هـ).

٢ - أبو بكر محمّد بن الحسن بن عليّ بن إبراهيم المعروف بالمزرعي، قال ابن الجوزي إنه سمع منه وكان ثقة ثبتًا، عالمًا، حسن العقيدة، وسمع الحديث الكثير من ابن المهتدي، والصيريفيني وغيرهما. توفي رحمه الله سنة: (٥٢٧هـ).

٣ - أبو الحسن عليّ بن عبد الواحد الدينوري، يقول المؤلّف: إنه سمع منه الفقه والحديث، والجدل، والخلاف، والأصول، وهو من أقدم شيوخه وكان يسكن باب البصرة من غربي بغداد. وتوفي في جمادى الآخرة سنة: (٥٢١هـ).

٤ - أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، قال ابن الجوزي: إنه سمع منه بقراءة شيخه الأوّل أبي الفضل بن ناصر عليه، وكان عبد الملك صالحًا صدوقًا، سمع جماعة كثيرة وخرج إلى مكة فجاورها. وتوفي في ذي الحجّة بعد رحيل الحجّ بثلاثة أيام سنة: (٥٤٨هـ)، (٦٣/١).

٥ - أبو سعد أحمد بن محمّد بن الحسن بن عليّ البغدادي، يقول ابن الجوزي: إنه سمع منه بقراءة أبي الفضل بن ناصر عليه، وكان خيراً ثقة وأملى بمكة والمدينة وكان على طريقة السلف صحيح العقيدة حلو الشمائل مطرح التكلف. ولد بأصبهان ونشأ بها وتوفي بنهاوند سنة: (٥٤٠هـ).

تلاميذه:

كما اختار ابن الجوزي ثلة من خيرة أساطين علماء عصره، كذلك اختاره هو شيخًا، وأخذ العلم والحكمة على يده نخبة من الأفذاذ فورثوا بعده مقتدين بخطواته في التأليف والنصح والإخلاص،

فمنهم:

١ - الحافظ عبد الغني عبد الواحد بن عليّ بن سرور. ولد في أرض نابلس سنة: (٥٤١هـ) سمع الحديث والعلوم من دمشق والموصل وهمدان، والإسكندرية، وكان حافظًا تقيًّا ورعًا، وسمع من ابن الجوزي ببغداد، وألّف كتبًا عديدة، قال يوسف بن خليل: كان ثقة ثبتًا ديّنًا مأمونًا حسن التصنيف دائم الصيام. توفي بمصر سنة: (٦٠٠هـ).

٢ - يوسف بن فرغلي بن عبد الله، أبو المظفر الواعظ، سبط الإمام ابن الجوزي، روى عن جدّه ببغداد، وسمع أبا الفرج بن كليب وغيره، وسمع بالموصل ودمشق، وحدّث بها وبمصر وأعطى القبول، وصنف الكتب العديدة منها: كتاب مرآة الزمان في التأريخ، وشرح الجامع الكبير، واللوامع في أحاديث المختصر، وغيرها. أخذ العلم من ابن الجوزي في بغداد. وتوفي ليلة الثلاثاء الحادي عشر من ذي الحجّة سنة: (٦٥٤هـ).

٣ - أحمد بن عبد الدائم بن نعمة الكاتب المحدّث. ولد سنة: (٥٧٥هـ) في نابلس، ودخل بغداد، وسمع بها ابن الجوزي وغيره، وسمع بدمشق وحران، وكان حسن الخُلق والخَلق، ديّنًا متواضعًا، وحدّث بالكثير بضعًا وخمسين سنة، وكتب ما لا يوصف كثرة من الكتب الكبار، متأثرًا بشيخه ابن الجوزي حتى صار هو شيخًا للأئمة الكبار، والحفاظ والمحدّثين، والفقهاء كالشيخ محيي الدين النووي، والشيخ شمس الدين بن عمر، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والشيخ تقي الدين بن تيمية، وأمثالهم، رحمهم الله جميعًا. توفي أحمد بن عبد الدائم سنة: (٦٦٨هـ).

مؤلَّفاته:

لقد فارقنا جسمًا وروحًا ولكن ذكراه وثمرات جهده الجبار المرسومة على صفحات التاريخ لم تزل ولا تزال تحيا حياة طيبة، كما قال الشاعر:

الجاهلون فماتوا قبل موتهم ::: والعاملون وإن ماتوا فأحياء

وقد أورد المؤرخون من بعده بكل غرابة وإعجاب مؤلّفاته الضخمة في كتبهم فيقول الإمام ابن تيمية رحمه الله في (أجوبته المصرية): " كان الشيخ أبو الفرج مفتيًا كثير التصنيف والتأليف وله مصنفات في أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف، ورأيت بعد ذلك ما لم أره ".

ويقول الحافظ الذهبي: " ما علمت أن أحدًا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل ".

ويصفه صاحب البداية والنهاية بأنه: " أحد أفراد العلماء برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره، ومجموع المصنفات الكبار والصغار نحوًا من ثلاثمائة مصنف وكتب بيده نحوًا من مائتي مجلد. وله في العلوم كلّها اليد الطولى، والمشاركات في جميع أنواعها؛ من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنجوم والطب والفقه. وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات في ذلك كلّه ما يضيق هذا المكان عن تعدادها، وحصر أفرادها، منها: كتابه في التفسير المشهور بـ (زاد المسير) وله تفسير أبسط منه - أي أوسع - لكنه ليس بمشهور. وله جامع المسانيد استوعب غالب مسند أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وجامع الترمذي، وله كتاب (المنتظم في تاريخ الأمم من العرب والعجم) في عشرين مجلدًا، (ويقول ابن

كثير): ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار هو تاريخًا:

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهـدًا ::: حتى رأيتك في التـاريخ مكتوبًـا

وقد أورد ابن رجب عن القطيعي في تأريخه، ثبت التصانيف التي كتبها ابن الجوزي بخطّه فذكر فيه حوالي ١٩٩ كتابًا. منها:

ثبت تصانيفه المتعلقة بالقرآن وعلومه:

كتاب المغنى في التفسير واحد وثمانون جزءًا.

كتاب زاد المسير في علم التفسير أربع مجلدات.

كتاب تيسير البيان في تفسير القرآن مجلد واحد.

كتاب تذكرة الأريب في تفسير الغريب مجلد واحد.

كتاب غريب الغريب جزء واحد.

كتاب نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر مجلد واحد.

كتاب الوجوه النواضر في الوجه والنظائر في مجلد واحد قال ابن الجوزى: إنه اختصره من الكتاب السابق.

كتاب الإشارة إلى القراءة المختارة أربعة أجزاء.

كتاب تذكرة المنتبه في عيون المشتبه جزء واحد.

كتاب فنون الأفنان في عيون علوم القرآن مجلد واحد.

كتاب ورد الأغصان في فنون الأفنان جزء واحد.

كتاب عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ في خمسة أجزاء.

كتاب المصفى بأكف أهل الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ

جزء واحد.

ثبت تصانيفه في أصول الدين:

كتاب منتقد المعتقد جزء واحد.

كتاب منهاج الوصول إلى علوم الأصول خمسة أجزاء.

كتاب بيان غفلة القائل بقدم أفعال العباد جزء واحد.

كتاب غوامض الإلهيات جزء واحد.

كتاب مسلك العقل جزء واحد كتاب منهاج أهل الإصابة.

كتاب السر المصون مجلد واحد.

كتاب دفع شبه التشبيه أربعة أجزاء.

كتاب الرد على المتعصب العنيد في منع ذم يزيد (والمتعصب العنيد عند ابن الجوزي هو عبد المغيث الحربي الحنبلي الذي له مؤلف في منع لعن وذم يزيد بن أبي معاوية بن أبي سفيان الأموي).

ثبت تصانيفه في علم الحديث والزهديات:

كتاب جامع المسانيد والألقاب بألخص الأسانيد وهو كتاب كبير رتبه الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الله المعروف بالمحب الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ هـ.

كتاب الحدائق أربعة وثلاثون جزءا.

كتاب نفي النقل في خمسة أجزاء.

كتاب المجتبى في مجلد واحد.

كتاب النزهة جزآن.

كتاب عيون الحكايات مجلد واحد.

ملتقط الحكايات ثلاثة عشر جزءًا.

كتاب إرشاد المريدين في حكايات السلف الصالحين مجلد واحد.

كتاب روضة الناقل جزء واحد.

كتاب غرر الأثر ثلاثون جزءًا.

كتاب التحقيق في أحاديث التعليق مجلدان.

كتاب المديح سبعة أجزاء.

كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات مجلدان.

كتاب العلل المتناهية في الأحاديث الواهية مجلدان.

كتاب الضعفاء والمتروكين مجلد واحد.

كتاب الكشف لمشكل الصحيحين أربع مجلدات.

كتاب إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه مجلد واحد.

كتاب أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث جزء واحد.

كتاب السهم المصيب جزآن.

كتاب أخاير الذخائر ثلاثة أجزاء.

كتاب الفوائد عن الشيوخ ستون جزءًا.

كتاب مناقب أصحاب الحديث مجلد واحد.

كتاب موت الخضر مجلد واحد.

كتاب مختصر موت الخضر جزء واحد.

كتاب المشيخة جزء واحد.

كتاب المسلسلات جزء واحد.

كتاب المحتسب في النسب مجلد واحد.

كتاب تحفة الطلاب ثلاثة أجزاء.

كتاب تنوير مدلهم الشرف جزء واحد.

كتاب الألقاب جزء واحد.

ويضيف ابن القطيعي المؤرخ المشهور ما يلي على مؤلفات ابن الجوزي:

كتاب فضائل عمر بن الخطاب مجلد واحد.

كتاب فضائل عمر بن العزيز (مجلد واحد).

كتاب فضائل سعيد بن المسيب (مجلد واحد).

كتاب فضائل الحسن البصري مجلد واحد.

كتاب مناقب الفضيل بن عياض أربعة أجزاء.

كتاب مناقب بشر الحافي سبعة أجزاء.

كتاب مناقب إبراهيم بن أدهم ستة أجزاء.

كتاب مناقب سفيان الثوري مجلد واحد.

كتاب مناقب أحمد بن حنبل مجلد واحد.

كتاب مناقب معروف الكرخي جزآن.

كتاب مناقب رابعة العدوية جزء واحد.

كتاب مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن مجلد واحد.

كتاب صفة الصفوة خمس مجلدات.

كتاب منهاج القاصدين أربع مجلدات.

كتاب المختار من أخبار الأخيار مجلد واحد.

كتاب القاطع لمحال اللجاج القاطع بمحال الحلاج (جزء واحد).

كتاب عجالة المنتظر لشرح حال الخضر جزء واحد.

كتاب النساء وما يتعلق بآدابهن مجلد واحد.

كتاب علم الحديث المنقول في أن أبا بكر أمّ الرسول جزء واحد (في هذا الجزء حاول نفي ذلك وقد حاول عبد المغيث الحربي بن زهير بن علوي المحدث الزاهد أبو العز بن أبي حرب أن يثبت ذلك في كتاب له بعنوان في إثبات صلاة النبي ﷺ خلف أبي بكر).

كتاب الجوهر.

كتاب المغلق.

ثبت تصانيفه في التواريخ وما يتعلق بها:

كتاب تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير عبارة عن مجلد واحد.

كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم عشر مجلدات.

كتاب شذور العقود في تاريخ المعهود مجلد واحد.

كتاب طراف الطرائف في تاريخ السوالف جزء واحد.

كتاب مناقب بغداد مجلد واحد.

ثبت مصنفاته في الفقه :

كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف.

كتاب جنة النظر وجنة المنتظر وهي التعليقة الوسطى.

كتاب مقتصر المختصر في مسائل النظر وهي دون تلك.

كتاب عمد الدلائل في مشتهر المسائل وهي التعليقة الصغرى.

كتاب المذهب في المذهب.

كتاب مسبوك الذهب في المذهب مجلد واحد في الفروع.

كتاب النبذة جزء واحد.

كتاب العبادات الخمس جزء واحد.

كتاب أسباب الهداية لأرباب البداية مجلد واحد.

كتاب أسباب كشف الظلمة عن الضياء في رد دعوى.

كتاب رد اللوم والضيم في صوم يوم الغيم جزء واحد.

مصنفاته في الوعظ :

قال ابن القادسي له أكثر من مائة مجلدة **نذكر منها:**

كتاب اليواقيت في الخطب مجلد واحد.

كتاب المنتخب في الثوب مجلد واحد.

كتاب منتخب المنتخب مجلد واحد.

كتاب نسيم الرياض مجلد واحد.

كتاب اللؤلؤ مجلد واحد.

كتاب المذكر مجلد واحد.

كتاب الأزج مجلد واحد.

كتاب اللطائف مجلد واحد.

كتاب كنوز الرموز مجلد واحد.

كتاب المقتبس مجلد واحد.

كتاب زين القصص مجلد واحد.

كتاب موافق المرافق مجلد واحد.

كتاب شاهد ومشهود مجلد واحد.

كتاب واسطات العقود من شاهد ومشهود مجلد واحد.

كتاب اللهب جزآن.

كتاب المدهش مجلدان.

كتاب صبا نجد جزء واحد.

كتاب محادثة العقل جزء واحد.

كتاب لقط الجمان جزء واحد.

كتاب معاني المعاني جزء واحد.

كتاب فتوح الفتوح مجلد واحد.

كتاب التعازي الملوكية جزء واحد.

كتاب العقد المقيم جزء واحد.

كتاب إيقاظ الوسنان من الرقدات بأحوال الحيوان والنبات جزءان.

كتاب نكت المجالس البدرية جزآن.

كتاب نزهة الأديب جزآن.

كتاب منتهى المنتهى مجلد.

كتاب تبصرة المبتدئ عشرون جزءا.

كتاب الياقوتة جزآن.

كتاب تحفة الوعاظ مجلد.

تصانيفه في فنون ذم الهوى:

كتاب ذم الهوي مجلدان.

كتاب صيد الخاطر خمسة وستون جزءًا.

كتاب أحكام الإشعار بأحكام الأشعار عشرون جزءًا.

كتاب القصاص والمذكرين.

كتاب تقويم اللسان مجلد واحد.

كتاب الأذكياء مجلد واحد.

كتاب الحمقى مجلد واحد.

كتاب تلبيس إبليس مجلدان.

كتاب لقط المنافع في الطب مجلدان.

كتاب الشيب والخضاب مجلد واحد.

كتاب أعمار الأعيان جزء واحد.

كتاب الثبات عند الممات جزآن.

كتاب تنوير الغبش في فضل السود والحبش مجلد واحد.

كتاب الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ جزء واحد.

كتاب إشراف الموالى جزآن.

كتاب إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء.

كتاب تحريم المحل المكروه جزء واحد.

كتاب المصباح المضيء لدعوة الإمام المستضيء مجلد واحد.

كتاب عطف العلماء على الأمراء والأمراء على العلماء جزء واحد.

كتاب النصر على مصر جزء واحد.

كتاب المجد العضدي مجلد واحد.

كتاب الفجر النورى مجلد واحد.

كتاب مناقب الستر الرفيع جزء واحد.

كتاب ما قلته من الأشعار جزء واحد.

كتاب المقامات مجلد واحد.

كتاب من رسائلي رسائل ابن الجوزي في جزء واحد.

كتاب الطب الروماني جزء واحد.

هذا ما نقله ابن القطيعي من خطه وقرأ عليه وزاد فيه ومع هذا فلأبي الفرج تصانيف أخرى كثيرة غير ما ذكر في هذا الفهرست وقدر علمي أنه صنفها بعد ذلك منها.

كتاب بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب يقع في ستة عشر جزءًا.

كتاب الباز الأشهب المنقض على من خالف المذهب وهو عبارة عن تعليقة في الفقه مجلد كبير.

كتاب الوفاء بفضائل المصطفى مجلدان.

كتاب النور في فضائل الأيام والشهور مجلد واحد.

كتاب تقريب الطريق الأبعد في فضائل مقبرة أحمد.

كتاب مناقب الإمام الشافعي.

كتاب العزلة.

كتاب الرياضة.

كتاب منهاج الإصابة في محبة الصحابة.

كتاب فنون الألباب.

كتاب الظرفاء والمتحابين.

كتاب مناقب أبي بكر مجلد واحد.

كتاب مناقب علي مجلد واحد.

كتاب فضائل العرب مجلد واحد.

كتاب درة الإكليل في التاريخ أربع مجلدات.

كتاب الأمثال مجلد واحد.

كتاب المنفعة في المذاهب الأربعة مجلدان.

كتاب المختار من الأشعار عشر مجلدات.

كتاب رؤوس القوارير مجلدان.

كتاب المرتجل في الوعظ مجلد كبير.

كتاب ذخيرة الواعظ أجزاء.

كتاب الزجر المخوف.

كتاب الأنس والمحبة.

كتاب المطرب الملهب.

تاب الزند الورى في الوعظ الناصري جزآن.

كتاب الفاخر في أيام الإمام الناصر مجلد.

كتاب المجد الصلاحي مجلد.

كتاب لغة الفقه جزآن.

كتاب عقد الخناصر في ذم الخليفة الناصر.

كتاب في ذم عبد القادر.

كتاب غريب الحديث مجلد واحد.

كتاب ملح الأحاديث جزآن.

كتاب الفصول الوعظية على حروف المعجم.

كتاب سلوة الأحزان عشر مجلدات.

كتاب المعشوق في الوعظ.

كتاب المجالس اليوسيفية وهي في الوعظ كتبها لابنه يوسف.

كتاب الوعظ المقبري جزء واحد.

كتاب قيام الليل ثلاثة أجزاء.

كتاب المحادثة جزء واحد.

كتاب المناجاة جزء واحد.

كتاب زاهر الجواهر في الوعظ ويقع في أربعة أجزاء.

كتاب كنز المذكر.

كتاب النجاة بالخواتيم جزآن.

كتاب المرتقى لمن اتقى.

وله أيضا من المؤلفات ما ذكرته كتب أهل الثقة الأعلام :

كتاب كشف النقاب عن الأسماء والألقاب وهو مخطوط بليدن ١٤٨٧ لم يثبت بعد في الفهرس وله أيضا تصانيف أخرى غير هذه وقد اختصر فنون ابن عقيل في بضعة عشر مجلدا [١].

فهذه هي بعض مؤلّفاته وثمرات جهده الجبار. وتلك هي بعض ملامح ذلك الرجل الفذ الذي له ثقله ووزنه في ميزان العلم والعلماء حتى اليوم.

* * *

(١) مصادر ترجمة ابن الجوزي: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن عبد الهادي الدمشقي ت ٩٠٩هـ، معجم الكتب، تحقيق يسرى عبد الغني البشري، نشر مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، القاهرة.
عبد الحميد العلوجي، مؤلفات ابن الجوزي، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٣٨٥هـ /١٩٦٥م.
مقدمة تحقيق كتاب نواسخ القرآن لابن الجوزي، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

- الذيل لابن رجب.
- الحافظ المنذري، التكملة لوفيات النقلة.
- الذهبي، تذكرة الحفاظ.
- السيوطي، طبقات الحفاظ.
- الشيخ عدي بن مسافر الأموي الشامي المتوفى سنة: ٥٥٧هـ،
- كتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة.
- ومفتاح السعادة ٢٠٧/١.
- المختصر المحتاج إليه ٢٠٥/٢ - ٢٠٨.
- ودول الإسلام ١٠٦/٢.
- والعسجد المسبوك ٢٦٨/٢.
- وغاية النهاية ٣٧٥/١.
- وعقود الجوهر ص: ٣٩ - ٤٥.
- والمجددون في الإسلام ص: ٢٣٢ - ٢٤٠.
- ودائرة المعارف الإسلامية ١٢٥/١.
- والأعلام ٨٩/٤ - ٩٠.
- ومرآة الجنان ٤٨٩/٣ - ٤٩٢.
- والبداية والنهاية.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب.
- العبر في خبر من غبر.
- الكامل في التاريخ ابن الأثير.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان.